كلية : الآداب

القسم او الفرع : التاريخ

المرحلة: الثالثة

أستاذ المادة : أ.م .د. نوفل حامد عبد الرحمن عمران الهيتي

اسم المادة باللغة العربية : انتشار الاسلام في افريقيا

اسم المادة باللغة الإنكليزية : Spread of Islam in Africa

اسم المحاضرة الثالثة باللغة العربية: عوامل انتشار الاسلام في افريقيا

اسم المحاضرة الثالثة باللغة الإنكليزية: Factors of the spread of Islam in Africa

محتوى المحاضرة الثالثة

التعريف بافريقيا الشرقية

حين نقول ان افريقيا الشرقية نعني بها المنطقة المسماة بالصومال وكينيا وتنزانيا وموزمبيق، اضافة الى الجزر الساحلية، وبكلمة أخرى هي المنطقة التي تمتد من الحدود الشمالية لارتريه وحتى الحدود الجنوبية لموزبيق، والتي تتاخم سواحل البحر الاحمر وخليج عدن والمحيط الهندي وتمتد في داخل القارة غربا حتى الحدود الغربية الحالية للحبشة واوغندة وكينيا وتنزانيا وموزمبيق واذا رجعنا الى المصادر الجغرافية العربية الاسلامية نجد ان افريقيا الشرقية قد قسمت الى اربعة اقسام هي:

١. بربرا، او ناحية بريرا من بلاد الزنج والحبشة وهي تعني اليوم السواحل الشرقية والشمالية الشرقية من الصومال، وتسمى ايضا بساحل بنادر.

٢. ارض الزنج، وتمتد من نهر ويبي - ـ شيبالي الى حدود تانغا جنوبا او الطرف الجنوبي لجزيرة بمبا.

٣. ارض سفالة، تبدأ من جزيرة بمبا ممتدة جنوبا ربما الى منطقة نهر لمبوبو (نهر يخترق الهضبة الكائنة اليوم الى الجنوب من الزامبيزي). ٤. ارض الواق واق وهي تسمية غامضة لارض مجهولة في جنوب ! المنطقة. اما لفظة " زنج " عند العرب، والتي كانت قد اطلقت على سكان شرق افريقيا، فقد عنوا بها البانا السود، مفرقين بذلك بينهم وبين البربر والحبشة " زنج وبكلمة اخرى فقد استخدمت لفظة " ز " عند العرب دلالة على جماعات سوداء معينة او على السود عموما .

اما الاغريق والرومان فقد اطلقوا على افريقيا الشرقي تسمية ازانيا واطلقوا على ساحل افريقيا الشرقي اسم ساحل " عزانيا " . وهذه التسمية على ما يبدو جاءت نسبة الى احدى الممالك العربية القديمة وهي مملكة عزان التي يقال انها وجدت في احدى مناطق شبه جزيرة العرب في حقبة سبقت ظهور الاسلام وهاجر قسم من سكانها الى الساحل الأفريقي الشرقي. اما سكان افريقيا الشرقية فقد ارجعهم العرب الى كوش بن سام بن نوح، حيث تفرقوا في الأرض واستقر قسم منهم في اراضي التوبه والبجة والحبشة وبلاد الزنج (٣)، ويطلق عليهم اليوم بالتعبير العلمي اسم " الكوشيين " أي من الحاميين الشرقيين. والمعروف ان سكان افريقية الشرقية اليوم ليسوا السكان الأصليين، فقد سكنتها مجموعات بشرية عدة منهم: الاقزام (البوشمان) والزنج القدامي الذين كانوا في المنطقة قبل وصول البانتو (وهم عرق نجم من تزاوج الحاميين والزنوج) ثم جاء بعد ذلك العرب. اما السواحيليون وهم معظم سكان الساحل الشرقي فهم نتاج تزاوج العرب بالبانتو، وحضارتهم ولغتهم ودماؤهم كلها ثمرة اختلاط

العرب القادمين الى الساحل وتزاوجهم مع البانتويين. فالصلات القديمة بين الوطن العربي وافريقيا الشرقية وكانوا هم رواد هذه المنطقة وكيف ان علاقات متينة قامت بين أفريقيا الشرقية والمنطقة العربية. وترسخت هذه العلاقات وزاد تأثير العرب على المنطقة بعد ظهور الاسلام، وهذا ما سنحاول تعرفه في الصفحات التالية.

ثانياً: دخول وانتشار الاسلام في افريقيا الشرقية

شهدت علاقات العرب بافريقيا الشرقية توسعا واضحا وعميقا بعد ظهور الاسلام والملاحظ ان السمة الاساسية للوجود العربي الاسلامي في افريقيا الشرقية هو استقرار العرب الدائم واقامة كيانات عربية واسلامية في المنطقة، اضافة الى ظهور مدن وامارات عربية ـ اسلامية هناك. لقد انتشر الاسلام والثقافة العربية في افريقيا الشرقية منذ القرن الأول الهجري السابع الميلادي وذلك على يد التجار والمهاجرين العرب الذين توغلوا في المنطقة اما للدعوة إلى العقيدة الاسلامية السامية او للبحث عن مصادر الرزق او هربا من اضطهاد او هزيمة سياسية يضاف الى ذلك بعض العساكر العربية التي دخلت السودان بأمر من محرري مصر وعملت على تعريف السودان الاسلام والعروبة. والجدير بالقول هنا أن للهجرات العربية المستمرة بدوافعها المختلفة الى هذه المنطقة واستقرار الجماعات العربية فيها الدور الاول والفعال في ايصال العروبة والاسلام الى شرق افريقيا. وسوف نحاول ان نتعرف وبصورة تفصيلية مسيرة الاسلام في اجزاء عديدة من افريقيا الشرقية، منها الساحل الأفريقي الشرقي وسودان وادي النيل والحبشة.

الاسلام في الساحل الأفريقي الشرقي

يشمل هذا الساحل المنطقة الممتدة من ساحل بنادر في الصومال شمالاً إلى ساحل موزمبيق، بل حتى مصب نهر الزامبيري جنوبا، فضلا عن الجزر المواجهة لهذا الساحل. من الصعب جدا اعطاء خطوط عريضة لكل حياة العرب ـ المسلمين وفكرهم وحضارتهم في الساحل الأفريقي الشرقي لانه موضوع متعشب وواسع واستغرق عدة قرون، لكننا سنكتفي بالمعالم الرئيسية لذلك مؤكدين على محورين:

١. الهجرة العربية الاسلامية الواسعة وتأثيرها.

٢. التجارة ودورها في اقامة الوجود العربي الاسلامي. والملاحظ ان طبيعة الوجود العربي في الساحل الشرقي الافريقي يتميز بان الاستقرار كان في المدن والموانئ التجارية التي انتشرت على طول الساحل وفي الجزر المقابلة له. ولذا نرى ان كثيرا من مدن الساحل كان قد اسسها العرب المسلمون.

١

س: الوجود الرسمي للإسلام ؟

خذ الاسلام ينتشر في الساحل الشرقي منذ صدر الاسلام، فالرواية المحلية المتداولة في الساحل تؤكد ان الاسلام انتشر في المنطقة منذ ايام الخليفة عمر بن الخطاب (رض) وفي ايام الدولة الأموية نجد اهتماما واضحا بالساحل الشرقي لافريقيا من اجل حماية التجارة في البحر الاحمر والمحيط الهندي، حيث عهد الامويين الى تأسيس محطات تجارية لهم على الساحل الافريقي الشرقي لتأمين تجارتهم. فقد ارسل الخليفة عبد الملك بن مروان جماعة من العرب من اهل الشام للاقامة في الساحل، فأسس هؤلاء مدينة لامو ومراكز تجارية أخرى، كما انهم اتخذوا لهم قاعدة في جزيرة زنجبار ومنها انطلقت نشاطاتهم التجارية في المحيط الهندي ، وافلحت هذه المجموعة في اخضاع الساحل لنفوذ الأمويين وظل كذلك حتى نهاية دولتهم. اما ا في ايام الدولة العباسية، فقد توجه نشاطهم الى تأمين رحلاتهم بالبحار الشرقية فيحولوا طرق التجارة من البحر الاحمر الى الخليج العربي والعراق، ففقد البحر الأحمر اهمية وكثيرا من نشاطه، ولم يسترجع فعاليته التجارية الا في اواخر القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي بسبب ما تعرضت له التجارة العربية في الخليج العربي من المخاطر نتيجة الاحداث السياسية في العراق ومنطقة الخليج هذا كله لا يمكن القول إن العباسيين الاوائل لم يهتموا بالساحل الافريقي الشرقي، فهناك روايات تؤكد اهتمام الخليفة المنصور والرشيد بالساحل وارتباطه بالخلافة العباسية، بل ان الرشيد عين حاكما من قبله على مدن الساحل

أ ـ الهجرة العربية الاسلامية الى الساحل الافريقي الشرقي: جذب موقع الساحل الأفريقي الشرقي الكثير من المهاجرين العرب، فالبعد عن مركز الخلافة جعله محطة انظار الفارين من اضطهاد او اندحار سياسي. كما ان معرفة العرب القديمة بالمنطقة قد شجعت الراغبين في الهجرة اليه. يضاف الى ذلك سهولة وامانة الوصول ولا سيما ان العرب قد عرفوا طرق الملاحة وقوانينها قبل غيرهم. وعلاوة على ذلك فان التجارة مع هذا الساحل قد جذبت الكثير من العرب المسلمين الى الهجرة والاستقرار في المراكز التجارية الساحلية من اجل كسب الرزق جراء ممارسة التجارة الدائمة فيه هذه المنطقة. والملاحظ ان الاستقرار العربي الاسلامي في الساحل بدأ في ساحل بنادر ثم مضى العرب المسلمون في توسيع رقعة استقرارهم الى ان وصلوا الى ابعد الاماكن المعروفة انذاك على الساحل الشرقي لأفريقيا، ثم اقامتهم في الجزر الساحلية المقابلة له. وجاءت نتائج الهجرة سريعا حيث انتشر الاسلام في الساحل وشاعت الثقافة والحضارة العربية الاسلامية على طوله. منهم ان موضوع الهجرات الاسلامية الى ساحل افريقيا الشرقية ما زال يكتنفه الغموض بسبب صعوبة وضع جدول تقويمي متتابع لها، وبسبب تضارب الروايات وتناقص الاخبار لا سيما المحلية المروية والتي دونت فيما بعد في مخطوطات افريقية سواء باللغة

العربية او السواحلية. الا اننا نستطيع ان نقول ان الهجرات العربية بدات متواضعة في الاعداد وكلما اقام المهاجرون لانفسهم موضع قدم جلبوا بعدهم اعداداً أكثر .

حتى جاءت وقت اصبح فيه ساحل افريقيا الشرقي منطقة عربية اسلامية فعلاً. ومما يلحظ ان الاستقرار كان يبدأ عادة بالساحل ثم يتوغل العرب الى الداخل رويدا وريدا حتى يتصلوا بالشعوب الأفريقية الداخلية ان معظم المهاجرين العرب، بعد الاسلام كانوا من اهل الخليج العربي وهذا ليس بأمر مستغرب فقد ارتبطت شرقي افريقيا بالخليج العربي بروابط عريقة، وظلت العلاقة البشرية مستمرة، كما ادت التجارة دورا مهما في تنمية هذه العلاقة. بدأت الهجرات من مناطق الخليج العربي الى الساحل الافريقي الشرقي منذ القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي وزادت حتى بلغت اوجها في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، واهم هذه الهجرات هي:
المعتقد أن أول هجرة للعرب المسلمين الى سواحل افريقيا الشرقي هي هجرة عمانية وفدت في النصف الاول من القرن الأول الهجري / السابع الميلادي، وتقول الروايات انها هجرة لآل الجلندي من قبيلة الأزد حكام عمان الذين اضطروا بعد صراع مع الخلافة الأموية الى الهجرة مع قومهم الى ساحل افريقيا الشرقي. النشاط التجاري لهذه الجزيرة اثراً ذا شأن في التاريخ العربي الاسلامي. وقدمت هجرات عربية أكبر الى الساحل الشرقي لافريقيا منها هجرة قبيلة البتاوة من حضرموت الى مدينة باتا. والملاحظ ان عرب حضرموت كان لهم اثر بارز في عمليات الاتصال بالساحل الأفريقي الشرقي، وكان لهم دور متميز في ا انسحبوا بعد ذلك الى الداخل الافريقي، نتيجة ضغط الهجرات المتعاقبة عليهم وفي نهاية القرن الثالث الهجري / الميلادي وصلت الى ساحل افريقيا الشرقي هجرة عربية أخرى من الخليج العربي من منطقة الاحساء. وكانت هذه الهجرة متكونة من جماعة كبيرة من قبيلة الحارث بقيادة سبعة اخوة لاختلافهم مع حاكم الاحساء آنذاك. . وبعد استقرار بنو الحارث في ساحل افريقيا الشرقي عملوا على تدعيم سيطرتهم في المنطقة حيث أسسوا مدينتي مقاديشو وبراواة .
وكانت هذه الهجرة بزعامة سليمان بن سعيد من آل الجلندي، ولا نعرف على وجه الدقة المكان الذي استقر فيه هؤلاء الأزد، الا انه من ا المفترض، استنادا الى بعض الروايات انهم نزلوا في باتا (احدى جزر ارخبيل لامو)، بل تذهب هذه الروايات الى القول ان سليمان واخاه سعيدا هما اللذان اسسا مدينة باتا ، شمالي كينيا، وكانت في هذا الساحل واستقرت اعداد كبيرة منهم بالمنطقة . تعاقبت بعد ذلك الهجرات العربية، ففي القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي وفدت إلى سواحل افريقيا الشرقية هجرة عربية إسلامية من اليمن عرفت بالزيدية، وهم على ما يبدو من اتباع زيد بن علي.

ولقد بقي هؤلاء الزيديون مدة في ساحل بنادر، ثم كما ان القبائل النبهانية التي فرضت سيطرتها على عمان في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، قد وصلت الى ساحل افريقيا الشرقي واستقرت في مدينة باتا بعد خلافاتها مع اليعاربة. واستطاعت الاسرة النبهانية ان توحد معظم ساحل افريقيا الشرقي تحت لوائها وشهدت باتا ازدهارا تجاريا واسعا . ومن الجدير بالذكر ان الهجرات العربية الاسلامية لم تنقطع أبدا، فكأن إغراء الساحل الافريقي الشرقي في غنائه وقربه من بلاد العرب وبعده عن الصراع السياسي في الدولة العربية الاسلامية، ووجود استقرار عربي فيه، كل ذلك شجع استمرار الهجرات اليه حتى القرن الخامس عشر الميلادي حين وصول المستعمرين البرتغاليين اليه.